

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [التَّحَلُّ: 9]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ
الْإِنْعَامِ بِجَمَالِ
الْحَيَوَانِ،
وَالدَّلَالَةِ إِلَى
طَرِيقِ الْحَقِّ
بِالْحُجَّةِ
وَالْبِرْهَانِ

لَمَّا شَرَحَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مَضَى مِنْ آيَاتِ السُّورَةِ دَلَائِلَ تَوْحِيدِهِ، وَبَعْضَ مَظَاهِرِ إِنْعَامِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَرَسَمَ لَهُمْ طَرِيقَ فَلَاحِهِمْ وَنَجَاحِهِمْ، وَأَيْضًا لَمَّا كَانُوا فِي أَسْفَارِهِمْ وَاضْطِرَابِهِمْ فِي الْمَنَافِعِ بِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرِهَا يَقْتَصِدُونَ أَسْهَلَ الطَّرِيقِ وَأَقْوَمَهَا وَأَوْصَلَهَا إِلَى الْغَرَضِ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَهُمْ ضَالًّا سَخِيفَ الْعَقْلِ، غَيْرَ مُسْتَحَقٍّ لِلْعُدِّ فِي عِدَادِ النَّبِلَاءِ، نَبَّهَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَدْ بَيَّنَّ الطَّرِيقَ الْأَقْوَمَ الْمَوْصِلَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ مَا سِوَاهِ طَرِيقٍ مُعْوَجٍّ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْصُوه وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَوْجَبَ هَذَا الْبَيَانِ عَلَى نَفْسِهِ فَضْلًا مِنْهُ، وَإِزَاحَةً لِلْعُذْرِ وَإِزَالَةً لِلْعَلَّةِ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ⁽¹⁾، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أَوَّلُ (قَصْدٍ) يُدُلُّ عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، تَقُولُ: قَصَدْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا، وَأَقْصَدُهُ السَّهْمَ، إِذَا أَصَابَهُ فَقُتِلَ مَكَانُهُ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَحِدْ عَنْهُ⁽²⁾، الْقَصْدُ: إِتْيَانُ الشَّيْءِ، تَقُولُ: قَصَدْتُهُ، وَقَصَدْتُ لَهُ، وَقَصَدْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى⁽³⁾، وَالطَّرِيقُ الْقَاصِدُ هُوَ الْوَاضِحُ الْمُسْتَقِيمُ بِالْدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ⁽⁴⁾، أَيُّ: لَا اِعْوِجَاجَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 178 / 19، والبقاعي، نظم الدرر: 111 / 11.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قصد).

(3) الجوهري، الصحاح: (قصد).

(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قصد).

فيه ولا انحراف، والقَصْدُ: أَنْ تَتَّحُو نَحْوَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: قَصَدْتُ قَصْدَهُ؛ أَيَّ: نَحَوْتُ نَحْوَهُ، ومنه: الإِقْتِصَادُ، والإِقْتِصَادُ على ضربين: أحدهما محمودٌ على الإطلاق، وذلك فيما له طرفان: إفراطٌ وتفریطٌ كالجود، فإنه بين الإسرافِ والبخلِ، وكالشَّجاعة فإنَّها بين التَّهورِ والجبنِ، ونحو ذلك، وعلى هذا قوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [القمان: 19]، وإلى هذا النَّحْوِ من الاقتصاد أشار تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، والثَّاني يُكْنَى به عمَّا يتردَّد بين المحمودِ والمذموم، وهو فيما يقع بين محمودٍ ومذموم، كالواقع بين العدلِ والجورِ، والقريبِ والبعيد، وعلى ذلك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: 32]⁽¹⁾، و﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: هي الطَّرِيقُ الموصلُ إلى الحقِّ، وهي سبيلُ الإيمانِ والشرعِ⁽²⁾.

(2) ﴿جَائِرٌ﴾: أصلُ (جور) يدلُّ على الميلِ عن الطَّرِيقِ⁽³⁾، والجورُ: الميلُ عن القصد. يُقال: جَارَ عن الطَّرِيقِ، وجَارَ عليه في الحكم⁽⁴⁾، وأصله يُقال في الحِسِّيِّ مثل: جَارَ عن الطَّرِيقِ، ثم جعل ذلك أصلاً في العدولِ عن كلِّ حقٍّ، فبني منه الجورُ، والجائرُ من النَّاسِ: هو الَّذي يمنع من التزام ما يأمرُ به الشرعُ⁽⁵⁾، ومعنى قوله: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾: حائِذٌ ومائلٌ عن القصدِ، أو عن الله⁽⁶⁾.

✽ المعنى الإجمالي:

على الله تعالى وحده بيانُ الطَّرِيقِ المستقيم، والتَّوفيقُ للهداية إليه، وإذ قد أبانَه سبحانه فقد أظهرَ الطَّرِيقَ المعوجَّ، فبِضِدِّهَا

بيان الطريق
المستقيم
والهداية إليه
بيد الله وحده

(1) الزاغب، المُفردات: (قصد).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 581/3، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 221/3.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جور).

(4) الجوهري، الصحاح: (جور).

(5) الزاغب، المُفردات: (جور).

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 221/3.

تتميّز الأشياءُ، فتتكشّف بإبانة الحقِّ السُّبُلُ الجائرة المائلة عن الحقِّ القويم، وبهذه الإبانة للطريقين يكون الله تعالى قد دلَّ جميع النَّاسَ على طريق الحقِّ والخير، وحذَّره من طريق الجور والشرِّ، وهي هداية الدلالة، ولو شاء سبحانه أن يهدي جميع النَّاسَ هدايةً مُنْجِيَةً قسراً وجبراً؛ لفعل لكنَّه خلافُ الحكمة الإلهية التي اقتضت أن تكون الهداية بالحجَّة والبرهان، لا بالقسر والإذعان.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبلاغِيُّ:

دلالة الواو في ﴿وَعَلَى﴾:

الواو في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ استثنائيةٌ، والجملة بعدها مستأنفة⁽¹⁾، أو هي جملةٌ مُعْتَرِضةٌ اقتضت اعتراضها مناسبةً الامتنان بنعمة تيسير الأسفار بالرواحل والخيول والبغال والحمير⁽²⁾.

نكتة إظهار الاسم الجليل ﴿اللَّهِ﴾:

وأظهر الاسم الجليل بعد إضماره في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلم يُقَلَّ (وعليه)؛ بل قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ لتكون دلالة الحصر أقوى وأظهر في التأكيد على أن عليه سبحانه وحده ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ وإبانة الطريق.

نكتة العدول إلى الاسم الأعظم:

وقد عدل عن لفظ الربوبية إلى الاسم الأعظم ﴿اللَّهِ﴾؛ لأنَّ ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ هو منْهاج الله وشرُّعه، وفيه دعوة إلى الإخلاص له سبحانه في العبادة، وهذا كله من مقتضيات الألوهية، ثمَّ إنَّ التعبير بلفظ الألوهية فيه تربيةٌ للمهاجرة.

فائدة تقديم شبه الجملة على المُسْنَدِ إليه:

قَدْ مِ الْمُسْنَدُ - ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وهو شبه الجملة - على المُسْنَدِ إليه ﴿قَصْدُ

إظهاره لتقوية
الحصر وتأكيده

من مقتضيات
الألوهية (قَصْدُ
السَّبِيلِ)

بيان الطريق
المستقيم لا يكون
إلا على الله

(1) الخطيب وآخرون، التفصيل في إعراب التنزيل: 123 / 7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 112 / 14.

السَّبِيلُ لإفادَةِ الحَصْرِ والاختصاص؛ لأنَّ الطَّرِيقَ المستقيمَ لا يكون بَيَانُهُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَبَانَهُ بِكِتَابِهِ وَبِعِثَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبَشَّرَعَهُ الَّذِي شَرَعَهُ لَنَا لِئَلَّا نَزِيغَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

بلاغة التعبير بحرف الاستعلاء ﴿وَعَلَى﴾:

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ بِحَرْفِ الْإِسْتِعْلَاءِ ﴿وَعَلَى﴾، وَهُوَ يُفِيدُ الْإِجَابَ وَالْإِلْتِزَامَ وَالتَّعَهُدَّ، كَمَا إِذَا قُلْتُ مَنْ أَمْلِكُ أَنْ أَمْرُهُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا؛ أَيْ: يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ، أَوْ كَمَا إِذَا مَا أَلْزَمْتُ نَفْسِي بِفَعْلٍ شَيْءٍ وَتَعَهَّدْتُ بِهِ كَالْتَّذَرِ مَثَلًا، بَأَنْ أَقُولَ: لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أَذْبَحَ شَاةً لِلْفُقَرَاءِ، وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا تُلْزِمُ فِيهِ (عَلَى) الْقَائِلُ بِفَعْلِهِ، لَكِنَّهُ هُنَا لَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا هُوَ دَالٌّ عَلَى التَّفَضُّلِ وَالْإِكْرَامِ الْإِلَهِيِّ بِهَذَا الْبَيَانِ، بِإِنْزَالِهِ مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْوَاجِبِ الْمُتَعَهَّدِ.

إنزال الفضل
منزلة الواجب
تكرُّماً وإنعاماً

بلاغة الاستعارة في ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾:

لَفْظُ ﴿السَّبِيلِ﴾ هُنَا مُجَازٌ عَنِ الْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ وَالشَّرْعِ الْمُنْجِي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمَوْصِلِ إِلَى دَارِ الثَّوَابِ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ، حَيْثُ شَبَّهَ شَرِيعَةَ اللَّهِ بِالسَّبِيلِ، بِجَامِعِ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَوْصِلُ إِلَى غَايَتِهِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا وَاضِحٌ وَظَاهِرٌ لِلْعَيَانِ، وَالتَّفْصِيلُ فِي هَذَا: أَنَّهُ شَبَّهَ التَّزَامَ هَذَا الْبَيَانِ وَالتَّعَهُدَ بِهِ، بِالْحَقِّ الْوَاجِبِ عَلَى الْمَحْقُوقِ بِهِ⁽¹⁾، وَصَرَّحَ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ بَعْدَ حَذْفِ الْمُشَبَّهِ.

شريعة الله
سبيلٌ قويم،
يُفْضِي إِلَى الْمَنْهَجِ
المستقيم

معنى (أَل) في ﴿السَّبِيلِ﴾:

(أَل) فِي ﴿السَّبِيلِ﴾ هِيَ الْجَنْسِيَّةُ وَلِذَلِكَ أَضَافَ إِلَيْهِ ﴿قَصْدُ﴾⁽²⁾، وَقِيلَ: إِنَّهَا الْعَهْدِيَّةُ⁽³⁾؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ خُصُوصُ السَّبِيلِ الْمَعْنِي

سبيل الله
طريقٌ قاصد،
موصِلٌ لِلنَّجَاةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 112 / 14.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 221 / 3.

(3) السمين الحلبي، الذرُّ للصون: 196 / 7.

في السِّيَاق، المنصوص عليه في الآية، الَّذِي هو طريقُ الله الأَبْلَجُ وشرعه، فهو المعهودُ.

فائدة الإضافة في ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾:

إضافة الصِّفة
إلى الموصوف،
أو الخاصَّ إلى
العالمِّ

الإضافة في ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ هي من إضافة الصِّفة إلى الموصوف، على معنى السَّبِيلِ القاصد؛ أي: المستقيم الَّذِي لا عِوَجَ فيه، وعلى القول بأنَّ (أل) في ﴿السَّبِيلِ﴾ جنسيَّة، تكون الصِّفة هنا صفةً مُخَصَّصة، ويتعيَّن تقديرُ مضافٍ؛ لأنَّ الَّذِي تعهَّد الله به هو بيان السَّبِيلِ لا ذات السَّبِيلِ⁽¹⁾، أو من إضافة الخاصِّ إلى العامِّ⁽²⁾، وهذا السَّبِيلُ هو الدين الحقُّ والشرع الحنيفُ، الَّذِي أقام الله تعالى له الحُجَجَ، ونصب له الأدلَّةَ، وأرسل الرِّسْلَ، وأنزل الكتبَ لدعوة النَّاسِ إليه⁽³⁾، كما عبَّر عنه القرآنُ في مواضع أخرى بالصِّراطِ المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161]، وقوله: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: 52 - 53].

دلالة الواو في: ﴿وَمِنْهَا﴾:

أهمِّيَّة عطف
الخاصَّ على
العالمِّ في السِّيَاق

الواو في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ هي الواو العاطفة، حيث عطفت هذه الجملة على الجملة السَّابِقَةِ، ويكون العطف من باب عطف الخاصِّ على العامِّ، للإشارة إلى هذا الصَّنْفِ منها، وقيل: هي الواو الاعتراضية، والجملة معترضة⁽⁴⁾، والاعتراض نوعٌ من الإطناب، وفائدة الاعتراض هنا الإفادة بأنَّ بعضها جائرٌ، فليست كلها في الطَّوَاعِيَةِ سواءً، وهذا من نعم الله ﷻ بأنَّ بعضها هذا شأنه،

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 112 / 14، والطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 87 / 9.

(2) الشَّهاب الخفاجي، عناية القاضِي: 313 / 5.

(3) أبو السُّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 98 / 5.

(4) الخطيب وآخَران، التَّفْصِيلُ في إعراب التَّنْزِيلِ: 124 / 7، وصافي، الجدول في إعراب القرآن: 278 / 14.

والباقى على الصُّراطِ المستقيم، وسواء أكانت استئنافاً أم معترضةً، فالجملة لا محلَّ لها من الإعراب.

معنى (من):

(من) في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ هي التَّبَعِيضِيَّةُ؛ أي: وبعضها جائر، فليست كلها متَّصِفَةً بهذه الصِّفة، وقيل إنَّهم اليهود والنَّصارى، وقيل: هم وغيرهم مِمَّنْ خرج عن سواء السَّبيل.

مرجع الضمير في ﴿وَمِنْهَا﴾:

والضمير المؤنث في قوله عزَّ من قائل: ﴿وَمِنْهَا﴾ يعود على السَّبيل؛ لأنَّها تُؤنَّثُ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: 108]، أو لأنَّها في معنى سُبُل، فأنث على معنى الجمع⁽¹⁾.

سرُّ العدول في: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾:

لم يأت النظم القرآني بصيغة: (وعليه جائرها)؛ أي: بيانه، كما في الأولى، إذ في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ما يُشَبِّهُ الالتزام ببيان السَّبيل بالحُجَّة والبرهان لهداية النَّاس إليه، لكنَّه غاير هنا في الأسلوب؛ وفي ذلك أقوال؛ منها: أنَّ طريقَ الحقِّ واحد منضبط، وطرق الضلال متعددة غير منضبطة، فاكتفى بوجوب بيان الطريق المستقيم دونَّ ضده⁽²⁾.

وأَنَّهُ ليس بحقٍّ على الله أن يُبين طريق الضلالة؛ أي: لأنَّه أبان طريق الحقِّ، وليس بعد الحقِّ إلا الضلال، كما قال سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: 32].

وَأَنَّ المقصودَ بيانُ سبيله أيضاً، وتقسيمُ السَّبيل إلى القصد

من حكمة
السِّيَاق أن
يُحدِّد الوصف
ولا يُظلم مَنْ لم
يوصف به

التَّأْنِيثُ لِمَا
يَحْتَمِلُ التَّذْكِيرَ
والتَّأْنِيثُ مَفِيدٌ
فِي الْبَيَانِ عَنِ
الْمُرَادِ

المغايرة في
الأسلوب،
بغاية بيان
سبيل الهداية،
موضحةً للدلالة

(1) السَّمين الحلبي، الذُّرُّ للصون: 7/ 196.

(2) القونوي، حاشية القونوي على البيضاوي: 11/ 226.

والجائر إنَّما جاء بالعرض⁽¹⁾، وليعلم ما يجوز إضافته إليه من السَّيِّلَيْن وما لا يجوز⁽²⁾.

وتصلح جميعها مجتمعة أن تكون أسباباً مُعلِّلة هذا العدول.

سرُّ العدول عن قوله: (وجائرها):

ملمح التَّأْدِب
مع الله تعالى،
كي لا يُفهم
خلاف للمعنى
المقصود

وقدَّم الجائر والمجرور ﴿وَمِنْهَا﴾ على المُسْنَدِ إليه ﴿جَائِرٌ﴾ لمنع اللبس، كي لا يُفهم خلاف المعنى المقصود؛ لأنَّه لو قال: (وجائر منها)؛ كان معناه: وعلى الله بيانُ جائرٍ منها، كما كان عليه قصدُ السَّيِّل، وقطعاً هذا غير مُراد.

نكتة تنكير ﴿جَائِرٌ﴾، وتذكيرها:

غرض التَّنْكِير
الإِهَانَةُ والسَّيِّل
يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ

والتَّنْكِير في قوله: ﴿جَائِرٌ﴾ للإِهَانَةِ والنَّدَم؛ لأنَّ هؤلاء الخارجين عن الصُّراط المستقيم الذي خطَّه الله تعالى لعباده يستحقُّون هذا الذَّمَّ والتَّقْرِيع، و﴿جَائِرٌ﴾ هنا وصف لـ ﴿السَّيِّلِ﴾ باعتبار استعماله مُذَكَّراً⁽³⁾؛ لأنَّ لفظ السَّيِّل يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ.

بلاغة المجاز في الوصف بـ ﴿جَائِرٌ﴾:

بلاغة المجاز
الإِسْنَادِي
(العَقَلِي)

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ نجد إسناد الجور إلى السَّيِّل، وهو مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ الَّذِي يجور ليس هو السَّيِّل على الحقيقة؛ بل مَنْ يسلكه، فإسناد الجور إلى مَنْ لم يقع منه تجوراً عقلياً حُكْمِيّاً، فأطلق المحلَّ وأراد السَّالِكَ فيه.

بلاغة الكناية في قوله ﴿جَائِرٌ﴾:

بيان أنَّ طريق
الضَّلَالِ يوصف
بأنَّه (جائر)

ورود الوصف ﴿جَائِرٌ﴾ بمعنى الطَّرِيق المَعْوَجِّ، في مقابل ﴿قَصْدُ السَّيِّلِ﴾ وهو الطَّرِيق المستقيم الخالي من الاعوجاج، ولفظ ﴿جَائِرٌ﴾ هنا كُنِّيَ به عن سبل المعاصي والضَّلَال والكفر، في

(1) القنوني، حاشية القنوني على البيضاوي: 226 / 11.

(2) القنوني، حاشية القنوني على البيضاوي: 226 / 11.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِير والتَّنْوِير: 112 / 14.

مقابل طريق الهداية والاستقامة المفهوم كذلك من مقابله وهو
﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾.

فائدة عدم إضافة ﴿السَّبِيلِ﴾ إلى ﴿جَائِزٍ﴾:

وعدم إضافة ﴿السَّبِيلِ﴾ إلى ﴿جَائِزٍ﴾ أسوة بإضافته إلى
﴿قَصْدٍ﴾ يَرْجِعُ إلى منهج القرآن الكريم في استعمال كلمة (سبيل)؛
فإنه يغلب عليه استعمالها في الخير، لا في الشر، وذلك لما في الخير
من سهولة، والسهولة هي مَفْرَق ما بين السَّبِيل والطَّرِيق⁽¹⁾، حتَّى
لكأنَّ مسالك الشر ليست جديرة بأن يُطلق عليها لفظ (سبيل)،
الذي تشرف في أكثر مواردِه في الكتاب العزيز، بإضافته إلى لفظ
الجلالة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 154]، ولم يرد مضافاً إلى ما هو شرٌّ إلا
مراتٍ معدودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَنِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 146].

بلاغة الاحتباك ودلالته في السياق:

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ﴾ من بلاغة
الحذف نوع الاحتباك، وذلك أنه حَذَفَ من كلِّ جملةٍ من الجملتين
ما دلَّ عليه مقابله في الجملة الأخرى، فذكر في الجملة الأولى أنَّ
عليه بيان القصد؛ فدلَّ على حذف أنَّ عليه بيان الجائر في الجملة
الثانية، وذكَّر في الثانية أنَّ من الطُّرق الجائر؛ فدلَّ على حذف أنَّ
منها المستقيم في الجملة الأولى⁽²⁾.

معنى الواو في: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾:

الواو عاطفة، عطفت جملة: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ على جملة الاستئناف في
أول الآية ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾؛ ومن ثمَّ فلا محلَّ لها من الإعراب⁽³⁾.

أكثر موارد كلمة
سبيل في القرآن
الكريم هي في
الخير والنفع

الحذف المتقابل
بالتبادل مبین
عن الدلالة
بما ينقذ عنه
العقل

لجملة دور في
فهم السياق
العالم

(1) داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 281.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 112 / 11.

(3) الخطيب وآخرون، التفصيل في إعراب التنزيل: 125 / 7.

معنى ﴿وَلَوْ﴾ وفائدة التعبير بالجملة الشرطية:

هداية الدلالة،
لا تستلزم هداية
التوفيق

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ﴾: ﴿وَلَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، ويُعرف بأنه حرف امتناع لامتناع؛ أي: امتناع وقوع الجزاء، لامتناع وقوع الشرط، وفائدة جملة الشرط هنا بيان أن هداية الدلالة لا تستلزم هداية التوفيق، فالله تعالى هدى الناس جميعاً هداية دلالة، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البعد: 8 - 10]؛ فمنهم من اختارها فوفقه الله للهداية، ومنهم من لم يختَرها فكان نصيبه الخذلان.

غرض الإضمار في ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ﴾:

الإضمار على
الأصل وانتفاء
ما يدعو إلى
مخالفة الظاهر

وأضمر لفظ الجلالة، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ﴾، ولم يقل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ﴾، لكونه مذكوراً في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، فالأصل إضماره وعدم إظهاره، ولا يوجد غرض زائد يخالف معه مقتضى الظاهر.

نكتة حذف مفعول ﴿شَاءَ﴾:

حذف المفعول
للعلم به، من
بلاغة السياق

مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف، ويكثر حذف جواب (لو)، في حيز الشرط، تقديره: (ولو شاء الله هدايتكم) وحذف لأجل العلم به "من مضمون الجواب" (1) وهو قوله: ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾.

معنى اللام في: ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾:

هداية البشر،
مرتبطة بالمشيئة

اللام الواقعة في جواب ﴿وَلَوْ﴾ لامٌ شرطية، وقد أفادت معنى التوكيد، وفي التوكيد هنا طمأنة للمؤمنين ووعيد للمشركين.

فائدة التوكيد بقوله ﴿أَجْمَعِينَ﴾:

تسلط التوكيد
يكون على المنفي
وليس على التفي

قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ توكيدٌ معنويٌّ لضمير الخطاب في ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾، وهي من صيغ العموم، وهي هنا مسلطة على المنفي وليس على

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضى: 314/5.

النَّفْسي، أي "لسلب العموم، لا لعموم السلب"⁽¹⁾؛ لأنَّه يوجد مَنْ هداه الله هدايةً توفيقٍ، فلم يسلبها عن جميع النَّاس، كما أنَّه لم يُثبتها لجميعهم، والأمرُ كُلُّه راجع إلى حكمته سبحانه في المشيئة.

نكتة حذف مُتعلِّق الهداية:

وحذف مُتعلِّق الهداية فلم يَقُلْ: (لهذاكم إلى كذا)؛ لأنَّه فضلاً عن تحقُّق الدَّلالة عليه في عموم القرآن وعموم الشَّرْع، فإنَّ ما في بداية الآية يدلُّ عليه وهو قوله: ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾؛ أي: لهذاكم أجمعين إلى السَّبِيل القاصد والطَّرِيق المستقيم هدايةً توفيقٍ إليها، لكنَّه سبحانه لم يشأْ ذلك؛ "لأنَّ مشيئته تابعةٌ للحكمة الدَّاعية إليها، ولا حكمةً في تلك المشيئة، لما أنَّ الذي عليه يدور فلكُ التَّكليف، وإليه ينسحب الثَّواب والعقاب، إنَّما هو الاختيار الذي عليه تترتَّب الأعمال التي بها نيظُ الجزاء"⁽²⁾.

حذف للتعلُّق
اختصاراً للدَّلالة
عليه من بليغ
البيان

❖ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجور، والحيف، والظُّلم:

معنى الجور: تدلُّ (جور) على أَصْلٍ واحدٍ، وهو المَيْلُ عَنِ الطَّرِيقِ⁽³⁾، وعرفه الكفويُّ بقوله: الجور خلاف الاستقامة في الحكم⁽⁴⁾.

ومعنى الحيف: الميل في الحكم والجُنوح إلى أحد الجانبين، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التَّوْر: 50]؛ أي: يخافون أن يجور في حكمه⁽⁵⁾.

وهذا يعني أنَّ العلاقة وثيقة للغاية بين مَعْنَيِي (الجور، والحيف). ومعنى الظُّلم: وضعُ الشَّيْءِ في غير موضعه، وفي الشَّرِيعَة:

الظُّلم أعمُّ من
الجور والحيف،
وكُلُّها مُستَنَكِرَة
منبوذة في
الشَّرائع
والأعراف

(1) الشَّهاب الخفاجي، غناية القاضي: 314 / 5، والآلوسي، روح المعاني: 347 / 7.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 355 / 6.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جور).

(4) الكفوي، الكَلِمَات، ص: 354.

(5) الزَّاغِب، المُفردات: (حيف).

عبارة عن التَّعَدِّي عن الحقِّ إلى الباطل، وهو الجَوْرُ⁽¹⁾، وبذلك يظهر مدى التقاربِ الدَّلاليِّ بين ثلاثتها، وأنه وثيق جدًّا؛ لأنَّها جميعًا تعني الميلَ عن وجه الصَّواب مع فروقٍ دقيقة أهمُّها أنَّ الظُّلم أعمُّ من كلِّ من الجَوْر والحَيْف، وأبلغُ منهما فيما نحن بصدِّه من الميل؛ لأنَّه إذا ما كانت هنالك خصوصيَّة في معنى الميل في كلِّ من الجَوْر والحَيْف؛ لأنَّه يعني فيها الميلَ عن طريق الاستقامة في الحكم أو الميلَ عن الحكم بالحقِّ من قِبَلِ ذي السُّلطان؛ فإنَّ ميل الظُّلم وضرره أوسعُّ وأعمُّ؛ لأنَّه يشمل ما يكون من السُّلطان أو غيره حتَّى لو كان بخيانة الدَّانق والدِّرهم فإنَّه يُقال له: ظلم، ولا يُقال له: جَوْر ولا حَيْف، فإنَّ أَخَذَ ذَلِكَ على وجه القَهَر، أو الميلُ سُمِّيَ جَوْرًا، وهذا واضح، وأصل الظُّلم نُقْصَانُ الحقِّ، والجور: العُدُولُ عَنِ الحقِّ⁽²⁾.

(1) الجُرْجَانِيُّ، التَّعْرِيفَات، ص: 144.

(2) المُفْرَدَات، الفروق اللُّغَوِيَّة، ص: 231.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النَّحْل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النَّحْل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 4-23-768-9948-978
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26: المجلد السادس والعشرون، سورة النَّحْل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 4-23-768-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»